

وقرئ أم الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى: ﴿بِئْسَ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾<sup>(4)</sup> سُمي بأم الكتاب لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ، على رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة أي: منزلته عند منزلة كتابهما صفاته وهو مثبت في أم الكتاب هكذا.

أَفَنضِرُبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾.

﴿أَفَنضِرُبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ بمعنى أفنضح عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج: ولاضربنكم ضرب غرائب الإبل وقال طرفة:

اضرب عنك الهموم طارقتها ضربك بالسيف قونس الفرس  
والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب  
عنكم الذكر إنكاراً لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من  
إنزاله الكتاب وخلقته قرآنًا عربيًا ليعقلوه ويعملوا بمواجهه،  
وصفحاً على وجهين أما مصدره من صفح عنه إذا عرض  
منتصب على أنه مفعول له علي معنى: أفنحز عنكم إنزال  
القرآن، وللزام الحجة به إعرافاً عنكم وإما بمعنى: الجانب  
من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى  
أفنحيه عنكم جانباً فينتصب على الطرف كما تقول: ضعه  
جانباً وامش جانباً وتعضده قراءة من قرأ صفحاً بالضم  
وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح  
جمع صفوف، وينتصب على الحال أي: صافحين معرضين  
﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ أي لأن كنتم وقرئ أن كنتم وإذ كنتم.

فإن قُلْتُ: كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا  
مسرفين على البت؟ قُلْتُ: هو من الشرط الذي نكرت أنه  
يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول  
الاجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك  
ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق  
فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجلالاً له.

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾ حكاية خال ماضيه مستمرة أي: كانوا  
على ذلك، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه.

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَنَحْنُ مُّكَلِّمُونَ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾.

الضمير في ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ للقوم المسرفين لأنه صرف  
الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم ﴿ومضى

والاستدلال أن يخطبهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن  
يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصفائر التي  
فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من  
الكفر؟ قُلْتُ: الإيمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق إليه  
العقل وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما الطريق إليه  
السمع نون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه  
بالوحي الا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا  
كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(1)</sup> بالصلاة لأنها بعض ما يتناوله  
الإيمان ﴿وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ من له لطف ومن لا لطف  
له فلا هداية تجدي عليه.

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ  
تَسِيرُ الْأُمُورِ ﴿٩﴾.

﴿صراط الله﴾ بدل، وقرئ لتهدى أي: يهديك الله وقرئ  
لتدعوا عن رسول الله ﷺ من قرأ حم عسق كان ممن  
تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له<sup>(2)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الزخرف مكية

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْأَمِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ  
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾.

اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن.  
وجعل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ جواباً  
للقسم<sup>(3)</sup> وهو من الايمان الحسنة البينة لتناسب القسم  
والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي  
تمام: وثناياك إنها إغريض ﴿المبين﴾ البين للذين انزل  
عليهم لأنه بلغتهم وأساليبهم وقيل: الواضح للمتدبرين  
وقيل: المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان  
ما تحتاج إليه الأمة في ابواب الديانة ﴿جعلناه﴾ بمعنى:  
صيرناه معدى إلى مفعولين أو بمعنى: خلقناه معدى إلى  
واحد كقوله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ و﴿قرآنًا  
عربيًا﴾ حال، ولعل مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها  
ومعنى الترجي أي: خلقناه عربيًا غير عجمي إرادة أن  
تعقله العرب وثلاثا يقولوا لولا فصلت آياته.

وَأَنْتُمْ فِي أَرْأْسِ الْأَلْبَانِ لَدَيْنا لَمَلِكٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾.

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مردويه في التفسير، الزيلعي: 246/3.

(3) قال أحمد: تنبيه حسن جداً ووجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن،  
وإنما يقسم بعظيم، ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن  
عربي مرجو به أن يعقل به العالمون، أي: يتعقلوا آيات الله تعالى،  
فكان جواب القسم مصححاً للقسم، وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا، =

= وإنما يقسم الشعراء بمثل هذه الأشعار بأنه في غاية الحسن ثم  
جعل المقسم عليه كونها في نهاية الحسن لا أنها هي إغريض،  
وهو من أحسن تشبيهات الثنايا، فجعل المقسم عليه مصححاً  
للقسم، والله أعلم.

(4) سورة البروج، الآيتان: 21 - 22.

مثل الأولين ﴿أي: سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعد لهم.

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾.

فإن قلت: قوله: ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ وما سرد من الأوصاف عقيب إن كان من قولهم (1) فما تصنع بقوله: ﴿فانشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ وإن كان من قول الله فما وجهه؟ قلت: هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله: ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي هو من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه وليسندنه إليه.

وَأَنزَى نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَدْعِرُ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٧﴾.

﴿ببقدور﴾ بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفاناً.

وَأَنزَى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفَلَاحِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٧﴾.

﴿الأزواج﴾ الأصناف ﴿ما تركبون﴾ أي تركبونه. فإن قلت: يقال ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك (2)، وقد نكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه؟ قلت: غلب المتعدّي بغير واسطة لقوته على المتعدّي بواسطة، فقيل: تركبونه.

لَسْتَرَوْا عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٧﴾.

﴿على ظهوره﴾ على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام، ومعنى نكر نعمة الله عليهم: أن ينكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالكسنتهم، وهو ما يروى عن النبي ﷺ إنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله، لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً (3) وقالوا: إذا ركب في السفينة قال: بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم (4)، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يركب دابة فقال: سبحان الذي سخر لنا هذا فقال: أيهذا أمرتم فقال: ويم أمرنا: قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه (5)، وهذا من حسن مراعاتهم لأداب الله ومحافظتهم على دقيقتها وجليها

= بالتعدّي والقصور لوباختلاف آلات التعدّي، وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى، فمن ثم يعنون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة؛ مثل: سكرت وأخواته، ويعنون الأفعال المترادفة بألآت مختلفة مثل: دعوت وصليت، فإنك تقول: صلى النبي على آل أبي لوفى، ولو قلت: دعا على آل أبي لوفى لأنهم عكس المقصود، ولكن دعا لآل أبي لوفى، ويعنون بعضها إلى مفعولين ومرانفة إلى مفعول واحد كعلم وعرف، فلا يترتب على الاختلاف بالتعدّي والقصور الاختلاف في المعنى، فالذي يحزر من هذا إن ركب باعتبار القبوليين معناه واحد، وإن خص أحدهما باقتران الوسطة الآخر بسقوطها، فالصواب لحد الأمرين، أمّا تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا، فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه، والأقرب تعليقه باعتبار التعدّي بنفسه، ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى: ﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ على أحد التاويلين فيه، فإن التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الأمر وجمع الشركاء، ولكن لما تقاربا غلب إحداهما على الآخر، ثم جعل المقلب هو المتعدّي بنفسه، والله أعلم.

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: الصلاة، باب: المسافر، (الحديث: 2696)، أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا سافر، (الحديث: 2599)، وأخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج، وغيره.

(4) قال الزيلعي غريب، لكن رواه الطبراني في معجمه من قوله ﷺ لا من فعله إذ لا يعرف أن النبي ﷺ ركب السفينة، الزيلعي: 3/250.

(5) رواه الطبراني في كتاب: الدعاء، ورواه الطبراني، الزيلعي: 251/3.

(1) قال أحمد: الذي يظهر أن الكلام مجزاً فبعضه من قولهم، وبعضهم من قول الله تعالى، فالذي هو من قولهم: خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل، وأصل الكلام أنهم قالوا: خلقهن الله، ويدل عليه قوله في الآية الأخرى، ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾، ثم لما قالوا: خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات، ولما سبق الكلام كله سياقه، وأخذه حذف الموصوف من كلامهم، وأقيمت الصفات المنكورة في كلام الله تعالى مقامه، كانه كلام واحد، ونظير هذا أن نقول للرجل: من أكرمك من القوم، فيقول: أكرمني زيد، فتقول أنت واصفاً للمتكور الكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا، ثم لما وقع الانتقال من كلامهم إلى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان في البلاغة، فجاء أوله على لفظ الغيبة، وأخره على الانتقال منها إلى التكلم في قوله: فانشرنا كل تلك افتنان في آفتان البلاغة. ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿قال علمنا عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾، فجاء أول الكلام حكاية عن موسى إلى قوله: ﴿ولا ينسى﴾، ثم وقع الانتقال من كلام موسى إلى كلام الله تعالى، فوصف ذاته أوصافاً متصلة بكلام موسى، حتى كانه كلام واحد وابتداء في نكر صفاته على لفظ الغيبة إلى قوله: ﴿فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾، فانظر إلى تحقيق التطبيق بين الآيتين تر العجب، والله الموفق.

(2) قال أحمد: لم يحزر العبارة في هذا الموضع، فإن قوله: غلب المتعدّي بغير واسطة على المتعدّي بنفسه يوم أن بين الفعلين تبايناً وليس كذلك، فإن المتعدّي إلى الأنعام هو عين الفعل المتعدّي إلى السفن غاية ما، ثم أن العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة، وباعتبار بعضها بالتعدّي بنفسه، والاختلاف =

إلا بعد ما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الركابين وبين ما أمره الله به في هذه الآية وقيل: ينكرون عند الركوب ركوب الجنابة.

وَجَعَلُوا لَمْ يَنْ عِبَادِهِ جَزَاءً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

﴿وجعلوا له من عبادته جزاء﴾ متصل بقوله: ولئن سألتهم أي: ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عبادته جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى: من عبادته جزأ إن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضنا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له، ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزاء المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً.

إن أجزاء حرة يوماً فلا عجب زوجتها من بنات الأوس مجزئة وقرى جزأ بضم تين ﴿لكفور مبين﴾ لحدود للنعمة ظاهر جوده لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل لكفران كله.

أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَخْتُلِقُونَ بَنَاتٍ وَأَمْسَكْتُمْ بِالْبَيْتِ ﴿١٦﴾

﴿أم اتخذ﴾ بل اتخذوا الهمزة للإنكار تجهيلاً لهم وتعجبياً من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عبادته جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين، وهو الإناث بون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهم ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وادوهن<sup>(١)</sup> كانه قيل: هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضاً، وتمثيلاً أما

جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم، فما أحسن بالعقل النظر في لطائف الصناعات، فكيف بالنظر في لطائف الديانات ﴿مقرنين﴾ مطبقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه قال ابن هرمه:

وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يادعد والهجر وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف إلا ترى إلى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد.

وَأَنَا إِلَى رَبِّكَ لَمَقْلُوبٌ ﴿١٧﴾

فإن قُلْتُ: كيف اتصل بذلك قوله: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ قُلْتُ: كم من راكب دابة عثرت به أو شمس أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك، وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالاً بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب، وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمقلوب إلى الله غير منقلب من قضائه، ولا يدع نكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحدز من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، ويستغيب بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا تنتزه على الخيل، أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلائمهم، وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا ينكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره، وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح

= تخرصون ﴿فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكنيب الرسل، والإشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا، فشبّه تعالى حالهم في الاعتماد على هذا الخيال بحال أولئهم، ثم بين أنه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكتب، فقال: ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾، ثم لما أبطل أن يكون لهم في مقاتلتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله: ﴿فإن الله الحجة البالغة﴾، ثم أوضح في الرد عليهم ليس إلا في احتجاجهم على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب، فقال: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾، وهو معنى قولهم: لو شاء ما أشركنا من حيث أن لو مقتضاهما امتناع الهداية لامتناع المشيئة، فدلّت الآية الأخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالهم، ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح، والذي يحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تائباً وتيسراً للهداية، وغيرها من الأفعال الكسبية حتى صارت الأفعال الصادرة منه مناط التكليف؛ لأنها اختيارية يفرق بالضرورة بينهما وبين العوارض القسرية، فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاها الله للمعتقدات الصحيحة المحجة، ولما كانت تفرقة بقيقة لم تنتظم في سلك الأفهام الخفيفة، فلا جرم أن أفهامهم تبدت، وأفكارهم تبدت فقلت طائفة القرية، واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة

(١) قال أحمد: نحن معاشر أهل السنة نقول: إن كل شيء بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعاً لليل العقل وتصديقاً لنص النقل في أمثال قوله تعالى: ﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح إلا تمهيداً، ولا تنفيده إلا تصويباً وتسيدياً فنقول: إذا قال الكافر: لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلاً أما كونها كلمة حق فلما مبهناه وأما كونه أراد بها باطلاً، فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على الله توهماً أنه يلزم من مشيئة الله تعالى للضلالة من ضل أن لا يعاقبه على ذلك؛ لأنه إنما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية إخوان الوثنية ذلك، فأشركوا بربههم، واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق، فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة؛ لأن هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية في ملك ربهم المتوحد بالربانية جلّ وعلا، فإذا وضع ما قلناه، فإنما رد الله عليهم مقاتلتهم هذه لأنهم توهموا أنها حجة على الله فدحض الله حجبتهم واكتب أمينتهم، وبين أن مقاتلتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض، فقال: ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون، وإن هم إلا يظنون، وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير ونلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كتب الذين من قبلهم حتى ناقوا بأسنا قل هل عنكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا =

واحتقروهم.

وَجَعَلُوا لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّهُمْ آسَفُوهَا سَافِرِينَ  
سَكَنُوا فِيهَا وَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْبُدْهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾

وقرئ: ﴿عباد الرحمن﴾ وعبيد الرحمن وعبد الرحمن وهو مثل لزلقاهم واختصاصهم وإنشأ وإنشأ جمع الجمع، ومعنى جعلوا: سموا وقالوا: أنهم أنث، وقرئ: أشهدوا وأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وأشهدوا بالفاء بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة ﴿سكتب شهادتهم﴾ التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ﴿ويستلون﴾ وهذا وعيد، وقرئ: سيكتب وسكتب بالياء والنون وشهادتهم وشهاداتهم ويسألون على يفاعلون.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٧﴾

﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدهم﴾ هما كفرتان أيضاً مضمومتان إلى الكفريات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجرية.

فإن قلت: ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، ولو قالوه جابدين لكانوا مؤمنين! قلت: لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصافهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إنشأ وأنهم عبدهم، وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزاء لكان النطق بالحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لوجئوا في النطق به مدحاً لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزاء، فيبقى أن يكونوا جابدين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر، فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولاً على وجه الهزاء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبه الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزاً لم يكن لقوله تعالى: ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ معنى لأن من قال: لا إله إلا الله على طريق الهزاء كان الواجب أن ينكر عليه استهزؤه

تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه أتركم على نفسه بخير الجزأين وأغلاهما وترك له شرهما وأدناهما. وتتكبر بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إنشأنا يهب لمن يشاء الذكور﴾.

وَإِذَا بَرَّرْتُمُوهُنَّ مِمَّا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٨﴾

﴿بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ بالجنس الذي جعله له مثلاً أي: شبيهاً لأنه إذا جعل الملائكة جزءاً لله وبعضاً منه فقد جعله من جنسه وممثلاً له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني: أنهم نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولت لك بنت اغتم وأريد وجهه غيظاً وتأسفاً وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امراته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت:

ما لابي حمزة لا ياتينا بظل في البيت الذي يلينا غضبان أن لا تلد البنينا ليس لنا من امرنا ماشينا وإنما ناخذ ما أعطينا

والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها، وقرئ: مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال: أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته.

أَمِنْ يُنْشَأُ فِي الْعَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْفَصْلِ عَرَبِيٌّ ﴿١٩﴾

وهو أنه: ﴿ينشأ في الحلية﴾ أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجائة الخصوم ومجارة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحجج به من يخاصمه، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال: فلما تكلمت امرأة فارادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعمة من المعاييب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعدوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى<sup>(1)</sup>، وقرئ: ينشأ وينشأ وينشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء، قد جمعوا في كفرة ثلاث كفريات وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم

= الله تعالى ومشيبته، ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الأفعال للعبد مقبورة لما وجدوه من التفارقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة، لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتمييز بين الضروري والاختياري في التصوير، فهذا هو التحقيق، والله ولي التوفيق.

= ربه وجارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار، وأن جميع الأفعال صادرة منه على سبيل الاضطرار أما أهل الحق فممنحهم الله من هديته قسطاً، وأرشدهم إلى الطريق الوسطى، فانتهجوا سبل السلام، وساروا ورائد التوفيق لهم إمام مستضيئين بانوار العقول المرشدة إلى أن جميع الكائنات بقدره =

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: اللباس وآدابه، (الحديث رقم: 5454).

ولا يكذب، لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جاداً كان أو هازئاً.

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي (٧٧).

﴿الذي فطرني﴾ فيه غير وجه أن يكون منصوباً على أنه استثناء منقطع كأنه قال: لكن الذي فطرني فإنه سيهدين وأن يكون مجروراً بدلاً من المجرور بمن كأنه قال: إنني براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني.

فإن قُلْتُ: كيف تجعله بدلاً وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبوده؟ قُلْتُ: قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم، وأن تكون إلا صفة بمعنى: غير، على أن ما في ما تعبدون موصوفة تقديره إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله: ﴿سيهدين﴾ على التسوية قُلْتُ: قال مرة فهو يهدين ومرة فإنه سيهدين فاجمع بينهما وقدّر كأنه قال: فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال.

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ (٧٨).

﴿وجعلها﴾ وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله: ﴿إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ «كلمة باقية في عقبه» في نريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا إلى توحيده لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ﴿ووصى بها إبراهيم بنبيه﴾، وقيل: وجعلها الله وقرى كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عقبه أي فيمن عقبه أي خلفه.

بَلْ مَتَّعْتُ هَذَا وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٧٩).

﴿بل متعت هؤلاء﴾ يعني: أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة فاعتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد ﴿حتى جاءهم الحق﴾ وهو القرآن ﴿ورسول مبين﴾ الرسالة واضحة بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحراً وما جاء به سحراً ولم يوجد منهم ما رجاه إبراهيم وقرى بل متعنا.

فإن قُلْتُ: فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء قُلْتُ: كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾<sup>(2)</sup> فقال: بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم نك عن كلمة التوحيد، وأراد بذلك الإطناب في تعبيرهم لأنه

فإن قُلْتُ: ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم: إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخوضون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله! قُلْتُ: تمحل مُبْطِل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم﴾<sup>(1)</sup>.

أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُتَسَكِرُونَ (٨٠).

الضمير في ﴿من قبله﴾ للقرآن أو الرسول، والمعنى: أنهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولاً قالوه غير مستند إلى علم، ثم قال: أم آتيناهم كتاباً قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم.

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ (٨١).

﴿إننا وجدنا آباءنا على أمة﴾ على دين، وقرى: على «أمة» بالكسر، وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التي تؤم أي: تقصد كالرحلة للمرحول إليه والأمة الخالة التي يكون عليها الأم، وهو القاصد وقيل: على نعمة وحالة حسنة ﴿على آثارهم مهتدون﴾ خبر إن أو الظرف صلة لمهتدون.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرُومًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُتَّبَرُونَ (٨٢).

﴿مترفوها﴾ الذين اترفتهم النعمة أي: أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه.

قُلْ أُولُو عِقْتِكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا وَدَّعْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٨٣) فَأَنْفَعَنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٨٤).

قرى: ﴿قل﴾ وقال وجئتكم وجئتكم يعني: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آباءكم قالوا: إننا ثابتون على دين آباؤنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى وأهدى.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَأءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٨٥).

قرى: ﴿براء﴾ بفتح الباء وضمها، وبرى- فبرى وبراء نحو كريم كرام، وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمنكر والمؤنث يقال: نحن

(2) سورة الزخرف، الآية: 28.

(1) سورة الأنعام، الآية: 148.

الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا، وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيماً.

أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مِيسَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِزْقًا بِعَضْمِ قُوَّةٍ بَعْضٌ دَرَجَاتٍ لِسَخِرَ بَعْضُهُمْ مَبْعَاً سَخِرَآ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ حَبِئًا مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾.

﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم، وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته، ثم ضرب لهم مثلاً فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في بنياهم، وأن الله عزّ وعلا: هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودير أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم، ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم، فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدماء ليصرف بعضهم بعضاً في حوائجهم ويستخدمهم في مهنتهم، ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم، ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا، وإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى، ورافته العظمى وهو الطريق إلى حياة حظوظ الآخرة، والسلم إلى حلول دار السلام، ثم قال: ﴿ورحمت ربك﴾ يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا.

فإن قلّنت: معيشتهم ما يعيشون به من المنافع<sup>(3)</sup> ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام، فإنّ قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال! قلّنت: الله تعالى قسم لكل عبد معيشته هي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع، وأنّ له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها، فإذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالاً وسماها رزق الله وإذا لم يسلكها تناولها حراماً وليس له أن يسميها رزق الله، فالله تعالى قاسم المعاش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة

إذا متهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان لا أن يشركوا به، ويجعلوا له انداداً فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك، وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقيح فعله. وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ فَأَوَّلَا هَذَا سِحْرًا وَإِنَّا بِكُمْ لَخَبِيرُونَ ﴿٣٣﴾.

فإن قلّنت<sup>(1)</sup>: قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتع، ثم أرفه قوله:

﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر﴾ فما طريقة هذا النظم ومؤداه قلّنت: المراد بالتمتع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته، فقال عزّ وعلا: بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين، فخيّل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدا قصتهم عند مجيء الحق فقال: ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله، وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه.

وَأَوَّلَا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٤﴾.

بقولهم: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من إحدى القريتين كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾<sup>(2)</sup> أي: من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل: من رجلى القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل، وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول: لو كان حقاً ما يقول: محمد لنزل هذا القرآن عليّ أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشراً رسولاً فلما، علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجلاً من أهل القرى جاؤا بالإنكار من وجه آخر، وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم: هذا القرآن نكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم

= أولها، وجاء الإضراب مع التوافق والزيادة للإشعار، بأن الثاني لما زاد على الأوّل صار باعتبار زيادته ونقصان الأوّل، كأنهما شيئان متنافيان يضرب عن أولهما، ويثبت آخرهما، ومثله كثير وبالله التوفيق.

(2) سورة الرحمن، الآية: 22.

(3) قال أحمد: قد تقدّم أن الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالاً كان أو حراماً، وهذه الآية معضدة، والزخشري بني على أصله وقد تقدّم.

(1) قال أحمد: كلام نفيس لا مزيد عليه، إلا أنّ قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها إطلاق ينبغي اجتنابه، والله أعلم، وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الإضراب في بعض التارات، فكما جاءت الغاية هنا، وليس المراد بها أن الفعل المنكور قبلها منقطع عندها على ما هو المفهوم منها، بل المراد استمراره وزيادته، فكان تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ما هو أكمل منها، كذلك الإضراب في مثل قوله تعالى: ﴿بئل آياتك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾، وهذه الإضرابات ليست على معنى أنّ الثاني منها ردّ للأوّل، بل ثانيها أكد من

الحرمة بسوء تناولهم وهو عدو لهم فيه عما شرعه الله إلى ما لم يشرعه.

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٢﴾

﴿لِيُؤْتِيَهُمْ﴾ بدل اشتمال من قوله لمن يكفر، ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوباً لقميصه، وقرئ: سقفاً بفتح السين وسكون القاف ويضمها وسكون القاف ويضمها جمع سقف كرهن ورهن، وعن الفراء جمع سقيفة وسقفاً بفتحيتين كأنه لغة في سقف وسقوفاً، ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى العلالى ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما استطاعوا أن يظهروها.

وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَتُرًّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٣﴾

وسرراً بفتح الراء لاستئصال الضميتين مع حرفي التضعيف.

وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُفِّرْ كَفْلًا لَمَّا مَتَّعَ الْكَلْبِيَّةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾

﴿لَمَّا مَتَّعَ لِلْحَيَاةِ﴾ اللام هي الفارقة بين إن المخففة والنافية وقرئ: بكسر اللام أي: الذي هو متاع الحياة كقوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾<sup>(1)</sup> ولما بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية، وقرئ: إلا وقرئ: وما كل ذلك إلا، لما قال: ﴿خَيْرِ

مما يجمعون﴾ فقلل أمر الدنيا وصغرها أرفهه ما يقرّر قلة الدنيا عنده من قوله: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي: ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر، ويطبقوا عليه جعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقفاً ومصاعداً وأبواباً وسرراً كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفاً أي زينة من كل شيء<sup>(2)</sup>.

والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الأصل سقفاً من فضة وزخرف يعني: بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفًا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله ﷺ: لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء<sup>(3)</sup>.

فَإِنْ قُلْتُمْ: فَحِينَ لَمْ يَوْسِعْ عَلَى الْكَافِرِينَ لِلْفِتْنَةِ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّي إِلَيْهَا التَّوَسُّعَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِطْبَاقِ النَّاسِ عَلَى الْكُفْرِ لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَتَهَالِكِهِمْ عَلَيْهَا، فَهَلَّا وَسِعَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِيُطَبِّقَ النَّاسُ عَلَى الْإِسْلَامِ<sup>(4)</sup>! قُلْتُمْ: التَّوَسُّعَ عَلَيْهِمْ مَفْسُودَةً أَيْضًا لَمَّا تُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَالدُّخُولِ فِي الدِّينِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا مِنْ دِينِ الْمُنَافِقِينَ فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ فِيمَا دَبَّرَ حَيْثُ جَعَلَ فِي الْفَرِيقَيْنِ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ وَغَلَبَ الْفَقْرَ عَلَى الْغِنَى.

وَمَنْ يَمَسَّ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيصًا لَمْ يَسْطَلْنَا لَهُمْ لَمْ قَرِينٌ ﴿٣٥﴾

وقرئ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ بضم العين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الأفة في بصره قيل: عشى وإذا نظر نظر العشي ولا أفة به<sup>(5)</sup> قيل: عشا ونظيره عرج

(1) سورة البقرة، الآية: 26.

(2) قال أحمد: لولا هنا أخت لولا في قوله: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم﴾ الآية، فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك بأن لا تقدر محضاً، كما تقدمت فيكون وجه الكلام ههنا: أن إجماعهم الكفر مانع من بسط الدنيا، وهذا هو معنى لولا المطرد أن ما بعدها أبداً مانع من جوابها، ولكن قد يكون المانع موجوداً تحقيقاً فيمتنع الجواب بلا إشكال، كقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾، وهو الأكثر، وقد يكون وجوده تقديراً معه، وعلى ذلك الآية أي: لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدراً لوجد مانعه عندنا، وهو الاجتماع على الكفر مقدراً معه، وكل ما أدى وجوده إلى وجود مانعه لا يوجد، ثم قال: فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة من الإطباق على الكفر، فهلا وسع على المسلمين ليطلق الناس على الإيمان، وأجاب: بأن التوسعة عليهم مفسدة أيضاً لما يؤدي إليه من الدخول في الإسلام، لأجل الدنيا، وذلك من دين المناقنين. اهـ كلامه.

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد. باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (الحديث رقم: 2320)، وأخرجه البيهقي في الشعب، باب: في الزهد وقصر الأمل، (الحديث رقم: 10465) أخرجه أبو نعيم في الحلية: 3/304 و253.

(4) قال أحمد: سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين، إحداهما: تحليل أفعال الله تعالى، والأخرى أن الله تعالى أراد الإسلام من الخلق أجمعين، أما الأولى فقد أحرس الله السائل عنه بقوله: =

= ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾، وأما الثانية: فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه، بقوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾.

(5) قال أحمد: في هذه الآية نكتتان بيوعتان، إحداهما الدلالة على أن النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم، وهي مسألة اضطرب فيها الأصوليون، وإمام الحرمين من القائلين بإفادتها العموم حتى استدرك على الأئمة إطلاقهم القول، بأن النكرة في سياق الإثبات تخص، وقال: أن الشرط يعم والنكرة في سياقه تعم، وقد ردّ عليه الفقيه أبو الحسن علي الأنباري شارح كتابه رداً عنيفاً، وفي هذه الآية للإمام، ومن قال بقوله كفاية، وذلك أن الشيطان نكر فيها متكرراً في سياق شرط، ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحداً لوجهين أحدهما: أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطاناً، فكيف بالعاشي عن نكر الله، والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعاً في قوله: وأنهم، فإنه عائد إلى الشيطان قولاً واحداً، ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود الضمير للجمع عليه بلا إشكال، فهذه نكتة تجد عند إسماعيل لمخالف هذا الرأي سكتة، النكتة الثانية: أن في هذه الآية رداً على من زعم أن العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك، واحتج المانع لذلك بأنه إجمال بعد تفسير، وهو خلاف المعهود من الفصاحة، وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾، قد أحسن الله له رزقاً، ونقض غيره بقوله: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير =

الأمر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لشدة وعنايته وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله: يا ليت بيني وبينك على معنى، ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمني مبادعة القرين وقوله: ﴿إنكم في العذاب مشتركون﴾ تحليل أي: لن ينفعكم تمنيتكم لأنَّ حَقْمَكم أن تشاركوا أنتم، وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ إنكم بالكسر وقيل: إذا رأى الممنون بشدة من مني يمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربيه وهو التأسى الذي ذكرته الخساء.

أعزى النفس عنه بالتأسي

فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروِّحهم لعظم ما هم فيه.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله تعالى إذا ظلمتم؟ قُلْتُ: معناه إذا صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة وإذا بدل من اليوم ونظيره. إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة. أي تبين أنني ولد كريمة كان رسول الله ﷺ يجد ويجتهد ويكد وروحه في دعاء قومه وهم لا يزيديون على دعائه إلا تصميماً على الكفر وتمادياً في الغي.

أَفَأَنْتَ تُشْحِقُّ الْإِنْسَانَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَتْ فِي صَنْعِكِ سُنُوبٌ

(١٠)

فانكر عليه بقوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر كقوله تعالى: ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (٥).

فَأَمَّا نُدَّهِينَ يَكْفُرُ بِكَ فَإِنَّا لَنُؤْمِنُكَ

(١١)

ما في قوله: ﴿فإنما ندهين بك﴾ بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى: فإن قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم ﴿فإنما منهم منتقمون﴾ أشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى: ﴿أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ (٦) وإن أردنا أن ننجز في حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم، وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتونا وصفهم

لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة:

متى تاته تعشو إلى ضوء ناره

أي تنتظر إليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم:

أعشوا إذا ما جارتي برزت حتى يوارى جارتي الخدر

وقرى يعيشوا على أن من موصولة غير مضممة معنى الشرط، وحق هذا القارى أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح: ومن يعم ﴿عن ذكر الرحمن﴾ وهو القرآن كقوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ (١) وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي: يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابي كقوله تعالى: ﴿ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ (٢) ﴿نقيض له شيطاناً﴾ نخذه ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرءاً﴾ (٣) ﴿الم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ (٤)، وقرى يقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان.

وَأَنْتَ لَيَسُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (١٢)

فإن قُلْتُ: لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله: ﴿وإنهم ليصدونهم﴾ قُلْتُ: لأن من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولوا لإبهامهما غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعاً.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْفَرِيقَيْنِ

(١٣)

﴿حتى إذا جاءنا﴾ العاشي، وقرى: جأنا على أن الفعل له ولشيطانه ﴿قال﴾ لشيطانه ﴿يا ليت بيني وبينك بعد للمشرقين﴾ يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل: العمران والقمران.

فإن قُلْتُ: فما بعد المشرقين؟ قُلْتُ: تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد إليهما.

وَلَكِنْ يَنْصَرُّنَا لِيَوْمِ لَقَمِنَّا إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (١٤)

﴿إنكم﴾ في محل الرفع على الفاعلية يعني: ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في

(1) سورة البقرة، الآية: 18.

(2) سورة النمل، الآية: 14.

(3) سورة فصلت، الآية: 25.

(4) سورة مريم، الآية: 83.

(5) سورة فاطر، الآية: 22.

(6) سورة غافر، الآية: 77.

= علم ويتخذها هزواً لولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه الآية، وكان جدي رحمه الله قد استخرج من هذه الآية بعض ذلك؛ لأنه أعاد على اللفظ في قوله: يعيش وله مرتين، ثم على المعنى في قوله: ليصدونهم، ثم على اللفظ بقوله: حتى إذا جاءنا، وقد قُتِمَ أن الذي منع ذلك قد يكون اقتصر بمنعه على مجيء ذلك في جملة واحدة، وأما إذا تعددت الجملة واستقلت كل بنفسها فقد لا يمتنع ذلك، حتى رددت على الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ولا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ فإن الجملة واحدة فانظره في موضعه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ وَهَّارَةَ وَمَلَائِكَةِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا مُتَبَايَعُونَ ﴿١٨﴾

ما أجابوه به عند قوله: «إني رسول رب العالمين» محذوف دل عليه قوله: «فلما جاءهم بآياتنا» وهو مطالبتهم إياه بإحضار البيعة على دعواه وإبراز الآية «إذا هم منها يضحكون» أي: يسخرون منها ويهزؤون بها، ويسمونها سحراً وإذا للمفاجأة.

فإن قُلْتَ: كيف جاز أن يجاب لما بإذا المفاجأة؟ قُلْتُ: لأن فعل المفاجأة معها مقدر، وهو عامل النصب<sup>(2)</sup> في محلها كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فجأوا وقت ضحكهم.

وَمَا رَبُّهُمْ بِرَبِّ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْأَيْدِي لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

فإن قُلْتَ: إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات؟ قُلْتُ: أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل، والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول: هو أفضل رجل رأيت تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذ قروتهم رجلاً رجلاً.

فإن قُلْتَ: هو كلام متناقض لأن معناه ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها، فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قُلْتُ: الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بني الناس كلامهم، فقالوا: رأيت رجلاً بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة:

من تلق منهم تلق لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري  
وقد فاضلت الأنامية بين الكلمة من بنيتها، ثم قالت: لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلنهم إن كنت أعلم  
أيهم أفضل هم كالحلقة المفترقة لا يدري أين طرفاها  
«لعلهم يرجعون» إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان<sup>(3)</sup>.

بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة.

أَوْ نُزِّنَاكَ الْوَيْدِيَّ وَعَدْنَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّعْتَدِرُونَ ﴿١٩﴾

وقرى: «نزينك» بالنون الخفيفة وقرىء بالذي أوحى إليك على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل والمعنى: وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا إلى اليوم الآخر.

فَأَسْتَسِيخُ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾

فكن مستمسكاً بما أوحينا إليك وبالعامل به؛ فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على بين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك، ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخير.

وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَالْفُتُوحَاتُ وَسَوْفَ تُنصَرُونَ ﴿٢٠﴾

«وإنه» وإن الذي أوحى إليك «لذكرك» لشرف «لك ولقومك و» لسوف «تستلنون» عنه يوم القيامة وعن قيامك بحقه وعن تعظيمك له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لإحاطته، ولكنه مجاز عن النظر في أنبيائهم والفحص عن ملهم<sup>(1)</sup> هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظراً وفحصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازاً عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسالة الشعراء النديار والرسوم والاطلال وقول من قال: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك، وجنى ثمارك فإنها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً وقيل: إن النبي ﷺ جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمرهم وقيل له: سلهم فلم يشكك ولم يسأل.

وَتَسَلُّ مِنَ الْأَرْضِ لَكَ وَمِنْ رَبِّنَا أَجْمَلْنَا لَكُمْ فِي دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٢١﴾

وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل، وعن الفراء هم إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكانه سأل الأنبياء.

(1) قال أحمد: ويشهد لإرادة سؤال الأمم فاستل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك والله أعلم.

(2) قال أحمد: الظاهر في تسويغ هذا الإطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآي إذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته، حتى يجزم أنها النهاية، وأن كل آية نونها فإنها نقل الفكرة إلى أختها استوعبت أيضاً فكره بعظمها وذهل عن الأولى، فجزم بأن هذه النهاية، وأن كل آية نونها، والحاصل أنها لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة، =

= بل مهما أفرده بالكفر جزم بأنه النهاية، وعلى هذا التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله، والله أعلم.

(3) قال أحمد: تقدم في غير موضع أن لعل حيثما ورتت في سياق كلام الله تعالى، فالمراد صرف الرجاء إلى المخولقين، أي: ليكونوا بحيث يرجي منهم ذلك، هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد، وأما الزمخشري فيحمل لعل على الإرادة؛ لأنه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيئاً، ويريد العبد خلفه فيقع مراد العبد، ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فما

وأزقتها لثلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يترعب في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته، وعن الرشيد أنه لما قرأها قال: لاولينها أخس عبدي فولأها الخصيب وكان على وضوئه، وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها، فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال: أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال: ليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه.

أَرَأَىٰ خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٦﴾

﴿أم أنا خير﴾ أم هذه متصلة لأن المعنى أقل تبصرون أم تبصرون إلا أنه، وضع قوله: أنا خير موضع تبصرون لأنه إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب، ويجوز أن تكون منقطعة على بل أنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر، وجرى الأنهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال: أنا خير كأنه يقول: أثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ أي: ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير ﴿ولا يكاد يبين﴾ الكلام لما به من الرتبة يريد أنه ليس معه من العدد والآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الأنبياء كلهم أنبياء بلغاء.

فَلَوْلَا أَلَمِيْ عَلَيْهِ أَسْرُوْرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِيْنَ ﴿٥٧﴾

وأراد بلقاء الأسورة عليه إلقاء مقاليد الملك إليه؛ لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار، وطوقوه بطوق من ذهب ﴿مقترنين﴾ إما مقترنين به من قولك قرنته فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى: تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الأعضاء اعترض فقال: هلا إن كان صادقاً ملكه ربه وسؤده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره، وقرئ أساور جمع أسورة وأساور جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء من ياء أساور، وقرئ ألقى على أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل.

فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوْهُ إِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا قٰٓسِيْنَ ﴿٥٨﴾

﴿فاستخف قومه﴾ فاستفزه وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفز من قولهم للخفيف فز.

فَلَمَّا ءَاسَفُوْنَا أَنْفَعَمْنَا مِنْهُرَ فَأَعْرَفْنَهُمْ جَمِيْرًا ﴿٥٩﴾

= مراد العبد يقع، ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نموذج بالله من هذه الغواية ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾

فإن قلت: لو أراد رجوعهم لكان قلت: إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به ويطلب منه إيجاده، فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف، وإنما لم يكن الرجوع؛ لأن الإرادة لم تكن قسراً ولم يختاروه، والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك.

وَقَالُوْا يَا أَيُّهَا النَّاسُ جَارُوا نِعْمَ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ بِمَا عٰهَدْتُمْ وَنَحْنُ

﴿٤٨﴾

وقرى: يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه.

فإن قلت: كيف سموه بالساحر مع قولهم ﴿إننا لمهتدون﴾؟ قلت: قولهم ﴿إننا لمهتدون﴾ وعد منوى إخلافه وعهد معزوم على نكته معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُرُوْنَ ﴿٥٥﴾

الآ ترى إلى قوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾، فما كانت تسميتهم إياه بالساحر بمنافية لقولهم إننا لمهتدون، وقيل: كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر. بما عهد عندك بعهدك عندك من أن دعوتك مستجابة، أو بعهدك عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة، أو بما عهد عنك من كشف العذاب عن اهتدى.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ مِّنْ يَّوْمِي ۖ أَفَلَا تَبْصُرُوْنَ ﴿٥٦﴾

﴿ونادى فرعون في قومه﴾ جعلهم محلاً لندائه وموقعاً له، والمعنى: أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء إليه كقولك قطع الأمير اللص إذا أمر بقطعه، ويجوز أن يكون عنده عظام القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثم ينشر عنه في جموع القبط فكأنه نودي به بينهم فقال: ﴿اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار﴾ يعني: أنهار النيل ومعظمهما أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس، قيل: كانت تجري تحت قصره، وقيل تحت سريره لارتفاعه، وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز أن تكون الواو عاطفة للأنهار على ملك مصر، وتجري نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ والأنهار صفة لاسم الإشارة، وتجري خبر للمبتدأ، وليت شعري كيف ارتقت إلى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمتهم وأمر فنودي بها في أسواق مصر،

= أشنعها زلة وأبشعها خلة، ولقد أساء الأب في هذا الموضع حتى أنه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ما هذى به وما اهتدى، وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة، وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه، وأن =

لئلا<sup>(3)</sup> وبذلك أن قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله<sup>(4)</sup> ما أريد به إلا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم<sup>(5)</sup> إنما قصد به الأصنام ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة؛ إلا أن ابن الزبيري بخبه وخذاعه وخبث نخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملاً لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساعفاً فصرف معناه إلى الشمول والإحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالاة والمكابرة وتوقع في ذلك فتوثر رسول الله ﷺ حتى أجاب عنه ربه ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ فدل به على أن الآية الآية خاصة في الأصنام على أن الظاهر، قوله: وما تعبدون لغير العلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾<sup>(6)</sup> قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله: ﴿آلهتنا خير أم هو﴾ على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لأن المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك إلا جدلاً ومعناه وما قالوا هذا القول يعني: آلهتنا خير أم هو إلا للجدال، وقرئ آلهتنا خير بإثبات همزة الاستفهام وبإسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير أم هذا، ويجوز أن يكون جدلاً حالاً أي: جبليين وقيل لما نزلت ﴿إن مثل عيسى عند الله﴾ قالوا: ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستاهل أن يعبد وإن كان بشراً كما عبت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصنون يضجون ويضجرون والضمير في ﴿أم هو﴾ لمحمد ﷺ وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء، ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكراً من الفعل، فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشرف منهم قولاً وفعلًا فإننا نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقليل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبيكم شرك مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما، أوردتموه إلا قياس باطل بباطل.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾.

﴿أسفونا﴾ منقول من أسف أسفاً إذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر<sup>(1)</sup> ومعناه: إنهم أقرطوا في المعاصي وعبدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾.

وقرئ: سلف جمع سالف كخادم وخدم وسلفاً بضمين جمع سليف أي: فريق قد سلف وسلفاً جمع سلفة أي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قنوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لإتيانهم بمثل أفعالهم وحديثاً عجيب الشأن سائراً مسير المثل يحدثون به، ويقال لهم: مثلكم مثل قوم فرعون، لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ امتعضوا من ذلك امتعاضاً شديداً فقال عبد الله بن الزبيري: يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم، فقال عليه السلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال: خصمك ورب الكعبة ألت ترع أن عيسى بن مريم نبي وتثنى عليه خيراً وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونها وعزير يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضيانا أن نكون نحن وآلهتنا مهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي ﷺ فانزل الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ ونزلت هذه الآية<sup>(2)</sup>، والمعنى: ولما ضرب عبد الله بن الزبيري عيسى بن مريم مثلاً وجدال رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

﴿إذا قومك﴾ قريش من هذا المثل ﴿يصدون﴾ ترتفع لهم جلبية وضجيج فرحاً وجزلاً وضحكاً بما سمعوا منه من إسكات رسول الله ﷺ بجده كما يرتفع لخط القوم ولجبههم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم، وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أي: من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه، وقيل: من الصديد وهو الجلبية وأنها لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما.

﴿وَقَالُوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل فر قوم خصمون﴾.

﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو﴾ يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى وإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هيئاً ﴿ما ضربوه﴾ أي: ما ضربوا هذا المثل ﴿لك إلا جدلاً﴾ إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل ﴿بل هم قوم خصمون﴾ لشداد الخصومة دأبهم للجاج كقوله تعالى: ﴿قوماً﴾

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وما عيسى ﴿إلا عبد﴾ كسائر العبيد ﴿أنعمنا عليه﴾ حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبدة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا نِكَاحَ مَلَائِكَةٍ فِي الْأَرْضِ يَحْتَلِفُونَ﴾.

﴿ولو نشاء﴾ لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر.

(1) تقدم في سورة طه.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک: 478/4.

(3) سورة آل عمران، الآية: 59.

(1) تقدم في سورة طه.

(2) تقدم في سورة الأنبياء.

(3) سورة مريم، الآية: 97.

أَلَيْسَ <sup>(١٦)</sup>

﴿الاحزاب﴾ الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى ﴿فويل للذين ظلموا﴾ وعيد للأحزاب.

فإن قُلْتُ: من بينهم إلى من يرجع الضمير فيه قُلْتُ: إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتم بالحكمة وهم قومه المبعوث إليهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ <sup>(١٧)</sup>

﴿أن تأتيهم﴾ بدل من الساعة، والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة.

فإن قُلْتُ: أما أدى قوله ﴿بغته﴾ مؤدى قوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ فيستغنى عنه؟ قُلْتُ: لا لأن معنى قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ وهم غافلون لاشتغالهم بأمر دنياهم كقوله تعالى: ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ <sup>(2)</sup> ويجوز أن تأتيهم بغته وهم فطنون.

الْأَخْلَاقَ يَوْمَئِذٍ يَمْشُرُ لِيَصُدَّ عَنْهُ إِلَّا الْمُتَّقِينَ <sup>(١٨)</sup>

﴿يومئذ﴾ منصوب بعدو أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالفين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتاً إلا خلة المتصافين في الله، فإنها الخلة الباقية الزمادة قوة إذا رآوا ثواب التحاب في الله تعالى، والتباغض في الله وقيل ﴿إلا المتقين﴾ إلا المجتنبين أخلاء السوء، وقيل نزلت في أبي بن خلف وعقبه ابن أبي معيط.

بِعِبَادِي لَا حِوْثَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أُنْتُمْ مَحْزُونُونَ <sup>(١٩)</sup>

﴿يا عبادي﴾ حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ، وقرئ: يا عباد.

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ <sup>(٢٠)</sup>

﴿والذين آمنوا﴾ منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادي مضاف أي الذين صدقوا ﴿آياتنا وكانوا مسلمين﴾ مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم، ثم يتبعها الذين آمنوا فبياس الناس منها غير المسلمين.

أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَآرَائِكُمْ كَحَبْرٍ وَرَقٍ <sup>(٢١)</sup>

﴿تحبرون﴾ تسرون سروراً يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى: تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج: تكرمون إكراماً يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل.

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَابٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّى فِي الْأَنْسَابِ

﴿لجعلنا منكم﴾ لولدنا منكم يا رجال ﴿ملائكة﴾ يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة، ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك.

وَإِنَّكُمْ لَوِمْ لِسَانَ فَلَ تَمَتَّرَكَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

<sup>(٢٢)</sup>

﴿وإنه﴾ وإن عيسى عليه السلام ﴿للعلم للساعة﴾ أي: شرط من أشراتها تعلم به فسمى الشرط علماً لحصول العلم به، وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة، وقرئ للعلم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما ينكر به نكراً كما سمي ما يعلم به علماً، وفي الحديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل على نثية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربية وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به <sup>(1)</sup> وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به علم الساعة لأن فيه الإعلان بها ﴿فلا تمترن بها﴾ من المرية وهي الشك ﴿واتبعون﴾، واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي وقيل هذا أمر لرسول الله أن يقول: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي هذا الذي أدعوكم إليه أو هذا القرآن إن جعل الضمير في وإنه للقرآن.

وَلَا مَسَدَ لَكُمْ أَلْسِنَانِ إِنَّكُمْ لَكُورٌ عَدُوٌّ مِينِ <sup>(٢٣)</sup>

﴿عدو مبين﴾ قد أبانت عداوته لكم إذ أخرج أباكم من الجنة، ونزع عنه لباس النور.

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَقْرَأُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا <sup>(٢٤)</sup> إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعِزُّوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ <sup>(٢٥)</sup>

﴿بالبينات﴾ المعجزات أو بآيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات ﴿بالحكمة﴾ يعني: الإنجيل والشرائع.

فإن قُلْتُ: هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه قُلْتُ: كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف، وفيما سوى ذلك مما لم يتبعوا بمعرفته والسؤال عنه وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعينهم من أمر دينهم.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ

(2) سورة يس، الآية: 49.

(1) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع، باب: قتل الخنزير (الحديث: 2222).

أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً.. (الحديث: 242).

وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَشْرَفَ فِيهَا خَيْرُونَ ﴿٧١﴾

والكوب الكوز لا عروة له ﴿وفيها﴾ الضمير للجنة، وقرئ تشتهي وتشتبه وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتبهة في القلوب وإما مستلذة في العيون.

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾

﴿وتلك﴾ إشارة إلى الجنة المنكورة وهي مبتدأ و﴿الجنة﴾ خبر و﴿التي أورثتموها﴾ صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ، أو التي أورثتموها صفة و﴿بما كنتم تعملون﴾ الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع أخبار، أو في الوجه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة. وقرئ ورثتموها.

لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْأَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾

﴿منها تاكلون﴾ من للتبعض أي لا تاكلون إلا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار أبدا مورقة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا، وعن النبي ﷺ لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلاًها<sup>(١)</sup>.

لَا يَنْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْرَبُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

﴿لا يفتر عنهم﴾ لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلاً ونقص حرها، والمبلس اليأس الساكت سكوت ياس من فرج، وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يرى ﴿هم﴾ فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين، وقرئ وهم فيها أي في النار وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل:

والحق يا مال غير ما تصف

وقيل لابن عباس إن ابن مسعود قرأ: ونادوا يا مال، فقال: ما شغل أهل النار عن الترخيم<sup>(٢)</sup>؟ وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الإسم لضعفهم وعظم ما هم فيه، وقرأ أبو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار.

وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ دِينَكُمُوكَ قَالَ إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ليقض علينا دينك﴾ من قضى عليه إذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى: سل ربك أن يقضي علينا.

فَإِنْ قُلْتُمْ: كَيْفَ قَالَ وَنَادُوا يَا مَالِكُ بَعْدَ مَا وَصَفَهُمْ بِالْإِبْلَاسِ؟ قُلْتُمْ: تِلْكَ أَلِزْمَةٌ مِطْوَالَةٌ وَأَحْقَابٌ مَمْتَدَةٌ فَتَخْتَلِفُ بِهِمُ الْأَحْوَالُ فَيَسْكُنُونَ أَوْقَاتًا لَخَلْبَةِ الْيَاسِ عَلَيْهِمْ وَعَلِمَهُمْ أَنَّهُ لَا فَرْجَ لَهُمْ وَيَغْوِثُونَ أَوْقَاتًا لِشِدَّةِ مَا بِهِمْ ﴿مُكَاثِرُونَ﴾ لِابْتِشَانِهِمْ فِيهِ اسْتَهْزَاءً، وَالْمُرَادُ خَالِدُونَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّمَا يَجِيبُهُمْ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعَ حَتَّى يَبْعُدَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَقُولُونَ ادْعُوا مَالِكًا فَيَدْعُونَ يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبِّكَ<sup>(٤)</sup>.

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِیَحِقَّ كَرِيمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ كلام الله عز وجل بلبيل قراءة من قرأ لقد جئتمكم، ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك ﴿كارهون﴾ لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمزون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب.

أَمْ أَمْرًا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَبُونَ ﴿٧٩﴾

﴿أم﴾ أيرم مشركو مكة ﴿أمرا﴾ من كيدهم ومكرهم برسول الله ﷺ ﴿فإننا مبرمون﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى: ﴿أم يريدون كيدا﴾<sup>(٥)</sup> فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناون فيتناجون في أمر رسول الله ﷺ.

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ تِلْكَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ ﴿٨٠﴾

﴿فإن قلتم﴾ ما المراد بالسر والنجوى؟ قلتم: السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم ﴿بلى﴾ نسمعهما، ونطلع عليهما ﴿ورسلنا﴾ يريد الحفظة عندهم ﴿يكتبون﴾ ذلك، وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس نثوبه وأبداها للذي لا يخفي عليه شيء في السموات فقد جعله أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق.

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَادِينَ ﴿٨١﴾

﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح تورونه وحجة واضحة تلبون بها ﴿فإننا أول﴾ من يعظم تلك الولد، وأسبقم إلى طاعته والالتقاد له<sup>(٦)</sup> كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على

(5) سورة الطور، الآية: 42.

(1) تقدم في سورة البقرة.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة الزخرف، باب: ونادوا يا مال... (الحديث: 4819).

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة طعام أهل النار، (الحديث: 2586).

(4) تقدم تخريجه سابقاً.

(6) قال احمد: لقد اجترأ عظيمًا، واقتحم مهلكة في تمثيله ذلك بقول من سماه عليًا إن كان الله خالقًا للكفر في القلوب، ومعنى عليه، فإننا أول القائلين: إنه شيطان وليس بإله، فلينقم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعًا عقلاً وشرعاً أنه تعالى خالق لك في القلوب، كما خلق الإيمان وقاه بمقتضى دليل العقل لئلا على أن لا خالق =



شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة، وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار إذا استوفي الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة، وقيل: هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم، وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله ﷺ: من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه أفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان<sup>(1)</sup>، ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام: إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب<sup>(2)</sup>، وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين، أو مصر على الزنا<sup>(3)</sup> وما أعطى فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير<sup>(4)</sup>، ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾<sup>(5)</sup> ولمطابقة قوله ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ لقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾<sup>(6)</sup> وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾<sup>(7)</sup> وليلة القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان.

فإن قلنت: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ قلنت: قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفارة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا نجومًا.

فإن قلنت: ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة؟ قلنت: قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفارة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا نجومًا.

فإن قلنت:

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ما موقع هاتين الجملتين؟ قلنت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسربهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ﴾<sup>(8)</sup> كأنه قيل: أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب، وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصًا لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة

الأخفش أنه حملة على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمراً وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده، وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم آمين الله، وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

فَأَصْحَابُ عَهْدِهِمْ وَعَلَى سَلَمٍ نَسُوا بِعَهْدِهِمْ (٨٨).

﴿فأصغ عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم ﴿وقل﴾ لهم ﴿سلام﴾ أي تسلم منكم ومشاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ وعيد من الله لهم وتسليية لرسوله ﷺ والضمير في وقيله لرسول الله ﷺ وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه: عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون أدخلوا الجنة بغير حساب.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الدخان مكية

حَمَّ ① وَالْكَتَبِ ② آتَيْنِ ③.

الواو في ﴿والكتاب﴾ واو القسم إن جعلت حم تعديداً للحروف أو اسماً للسورة مرفوعاً على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسماً بها.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ④ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ⑤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑥.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جواب القسم، والكتاب المبين القرآن، والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من

(1) قال الزيلعي: رواه سليم بن أيوب الرازي في كتاب: الترغيب،

ورواه محمد بن ناصر السلمي في كتاب: فضائل شعبان، وفي القربوس، الزيلعي: 261/3.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: الصوم، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 739)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الإقامة، باب: ما جاء في ليلة النصف من شعبان، (الحديث: 1389).

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: الحظر والإباحة، باب: ما جاء في=

= التباغض والتحاسد، (الحديث: 5665).

(4) قال الزيلعي غريب: 266/3.

(5) سورة القدر، الآية: 1.

(6) سورة القدر، الآية: 4.

(7) سورة البقرة، الآية: 185.

(8) سورة النخان، الآية: 3.